المرأة المسلمة

obeikandl.com

obeikandl.com

جاء الاسلام فبدأ من النهاية التى انتهت اليها آداب الحضارة والسيادة ، وهى خلاصة العرف الذى تعارف عليه سادة الحضر فى معاملة المرأة العربية

الا انه جعل هذا العرف حقا مكتوبا على الرجال لكل امرأة من كل طبقة ، ولم يقصره على عقائل البيوتات كما كان مقصورا عليهن فى آداب الجاهلية بحكم الاصطلاح والعادة يتبعه من يرضاه ويهمله من يأباه

ثم زاد على هذا العرف منزلة من الرعاية لم تصل اليها أرفع النساء فى ارفع البيوتات قبل الدعوة المحمدية ، لانه جعلها منا ط التكليف ووجه اليها الخطاب فى كل شىء كما وجهه الى الرجال . الا ما هو من خصائص عمل الرجال فى العرف المستقيم

فالمرأة فى شريعة الاسلام انسان مرعى الحقوق والواجبات ... « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف . وللرجال عليهن درجة »

وكل امرأة أو فتاة ـ من العلية او السوقة ـ لا يصح زواجها حتى يرجع اليها فيه « فلا تنكح الأيم حتى تستأمر

ولا البكر حتى تستأذن » ... وعلامة اذنها السكوت كما جاء فى بعض الأحاديث

ولها أن تملك ما تشاء وأن تبيع وتشترى ما تشاء ، وان تشترك فى الارث وكان حراما عليها لأنهـا لا تحمل الدرع ولا تضرب بالسيف . بل كان من حق الرجل أن يتخذها هى ميراثا ينتقل اليه كرها كما يرث الخيل والابل والحطام. فأبطل الاسلام ذلك حيث جاء فى القـرآن الكريم « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها »

وقضى بأن تبايع النساء كما بويع الرجال ؛ فلا تغنى عن مبايعتهن مبايعة آبائهن وازواجهن واوليائهن. ونص القرآن الكريم على ذلك حيث جـاء فى سورة الممتحنـة « يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتـان يفترينه بين ايديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم »

وأبى الاسلام الا ان يكفل لها حسن المودة كما كفل لها حسن المعاملة ، وان يوسع لها من حقوق البر والعطف كما وسع لها من حكم الشريعة . فأوصى المسلمين ان يستقبلوا ولادتها بالرضى ، وزجر الذين يستقبلونها على غيظ وحرد « واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ،

يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب . الا ساء ما يحكمون »

ومن الآداب القرآنية ان يغالب الرجل كراهتها اذا تغير قلبه من نحوها عسى أن يثوب الى حبها أو يكون فى احتمالها خير له ولها : « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا »

وكانت وصايا النبى (ص) على منهاج اوامر القرآن فى انصاف المراة ورعايتها ، فكان عليه السلام يقول : « خيركم خيركم للنساء » ... و « ... ما اكرم النساء الا كريم ولا اهانهن الا لئيم »

واسند الوصاة بها فى بعض الأحاديث الى وحى جبريل حيث قال : « ما زال جبريل يوصينى بالنساء حتى ظننت انه سيحرم طلاقهن »

والتعليم الذى كان فى بيوت السادة فلتة لا يقاس عليها بين الرجال فضلا عن النساء جاء الاسلام فجعل « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » واستحبه عليه السلام حتى للاماء حيث قال : « أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها ، وادبها فأحسن تأديبها ، ثم اعتقها وتزوجها فله اجران »

▭

هذه هى المنزلة التى تبواتها المراة فى الشريعة الاسلامية

وهذه هى المعاملة التى أوجبتها آداب الاسلام على المسلمين كافة . وهى ارفع من كل ادب ترقت اليه الجاهلية فى الجوانب التى تهذبت فيها معاملة المرأة بين ذوى السيادة والحضارة من اهلها . واضيفت اليها على عهد الاسلام حوانب شتى لم يكن للمرأة فيها ايسر نصيب من رعاية أو انصاف

ومهما يكن من الرأى فى موقف العصور الحديثة من المرأة ـ وهو ما نعرض له فى ختام هذا الكتاب ـ فالذى لا ريب فيه ان الاسلام قد رفعها درجات فوق أرفع منزلة بلغتها بين العرب أو بين الامم الاخرى ، وان المسلم الذى يعمل بدينه يوليها من البر فوق ما طلبته لنفسها ، لو أنها كانت فى زمان يطلب فيه النساء لانفسهن حقا من الحقوق .

ولم تكن تلك غاية المرتقى

فان الفرائض الدينية تطاع ولا تطاع ، وهى على هذا موكله بالتعميم الذى يستوى فيه جميع المسلمين المخاطبين بالتكليف . وانما طاعة التكليف فضيلة تعلوها فضائل الاختيار والرغبة والاشتياق الى الانجاز ، كأن الانجاز هو المثوبة التى تغنى عن المثوبة الموعودة . وهاهنا تتفاوت المراتب وتترقى الفضائل من التعميم الشائع الى الامتياز

والرجحان ، وتستبق النفوس حتى يكون العمل المفروض امنية محبوبة يؤلم النفس ان تعاق دونها ولا تبلغ الغاية منها وتلك عليا مراتب الأنبياء

وهى المرتبة التى سما اليها صاحب الدعوة الاسلامية بما تهيأ له من تمام الأريحية الانسانية وملاك الفطرة النبوية

فالحق أن محمدا عليه السلام لم يفرض على نفسه الشريفة محاسنة المرأة كما تفرض الأوامر السماوية على من يطيعها ولا مسرة له فى طاعتها ؛ ولكنه حاسنها فطرة كما حاسن كل مخلوق حى ولا سيما الضعفاء . وجعل البر بها مقياس المفاضلة بين أخلاق الرجال وعنوان المنافسة فى طلب الخير والكمال . فقال غير مرة : « خيركم خيركم لأهله وانا خيركم لأهلى » وقال : « خيركم خيركم للنساء »

وبلغ من ذلك أنه يأوى الى البيت « فيكون فى مهنة أهله فاذا حضرت الصلاة خرج الى الصلاة » وانه استحب خدمة الزوجة فى منزلها فقال : « خدمتك زوجتك صدقة » وكان أكيس رجل فى معاملة اهل بيته ، يشفق ان يرينه غير باسم فى وجوههن ، ويزورهن جميعا فى الصباح والمساء ، واذا خلا بهن « كان ألين الناس ضحاكا بساما » كما قالت عائشة رضى الله عنها

ومن المبالغات المألوفة فى تناهى الرحمة أن يقال « انه أرحم به من أمه وابيه »

لكنه عليه السلام كان حقا أرحم بأهله من آبائهن وأمهاتهن حتى الذين اشتهروا بالحدب الشديد على ذوى الرحم كأبى بكر الصديق رضوان الله عليه

ففى الأحاديث عن عائشة أنها قالت : « كان بينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام . فقال : من ترضين ان يكون بينى وبينك ؟ اترضين بأبى عبيدة بن الجراح ؟ قلت : لا . ذلك رجل هين لين يقضى لك . قال : اترضين بابيك ؟ قلت : نعم . فأرسل الى ابى بكر فجاء ، فقال : اقصصى ! فقلت : اقصص انت . . . فقال : هى كذا وكذا . . فقلت : اقصد ! فرفع أبو بكر يده فلطمنى وقال : تقولين يا بنت أم رومان اقصد ؟ من يقصد اذا لم يقصد رسول الله ؟ فجعل الدم يسيل من انفى ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انا لم نرد هذا . . . وجعل يغسل الدم بيده من ثيابى ، ويقول : رأيت كيف أبعدك الله منه . . . »

وكان بره بمن مات من أزواجه أكرم من بره بمن يعشن معه ويراهن كل يوم ويريته . فلما ماتت زوجته الاولى خديجة رضى الله عنها حزن عليها وسمى العام الذى قبضت فيه « عام الحزن » ووفى لذكراها طوال حياته ، حتى لقد كانت عائشة تغار منها وهى فى قبرها اشد من غيرتها من زوجاته اللواتى يعشن معها فى كنفه ، وقالت له يوما : هل كانت الا عجوزا بدلك الله خيرا منها ؟ فقال لها مغضبا : « لا

والله ! ما أبدلنى خـــيرا منها . آمنت بى اذ كفـر الناس وصدقتنى اذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها اذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء »

وان هذا الوفاء لذكرى الزوجة الغابرة لخليق ان يرضى المراة ـ حين تنسى غيرتها ـ أشد من رضاها عن مكاشفتها بالتفضيل فى حياتها لجمالها وشبابها ونعيم عشرتها وصفائها

▭

ونحن لا نعتسف التوفيق والترتيب حين نقول عن ربة هذا الكتاب ـ عائشة بنت الصديق ـ انها لوحظت فى آداب العرب والاسلام كأنها الوجهة التى اتجهت اليها هذه الآداب فى طريق الارتقاء والتهذيب

فمن قسمتها فى آداب العرب النسائية انها نشـأت فى خلاصة تيم الذين اشتهروا بظرف الرجال وتدليل النساء

ومن قسمتها فى الاسلام أنها ملكت حقوق المراة المسلمة، وتجاوزتها فملكت الحظوة التى يضفيها على نسائه نبى كريم يتجاوز الحقوق المفروضة صعدا فى معارج الكمال ، وكانت هى بعد هذا صاحبة الحظوة الاولى بين هؤلاء النساء

انها لمجدودة من بنات حواء

ولهذا الجد السعيد شأن أى شأن فى تاريخها الذى اتصل بتاريخ الاسلام .